

رثاء الآباء والأمهات لدى شعراء الشام بالقرن الرابع الهجري (أدب عربي)

د/ عبد الله رمضان
قسم الأدب والنقد
كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
arharidy@gmail.com

أما الآباء فقد كان أكثر التركيز على وصفهم بعراقة المجد والوقار والهيبة والسماحة ورجاحة العقل والشرف والكرم^(٤). وقد برزت الواجهة الذاتية جلية في رثائهم لأبنائهم وأمهاتهم؛ حيث إن الشعراء يعبرون في رثائهم عن مأساتهم الخاصة في فقد هؤلاء الأعراف من الآباء والأمهات، وهذا الفقد ينعكس بدوره على حياتهم ومستقبلهم ويخلف الجراح التي تشق أكبادهم خصوصا أن لكل شاعر من هؤلاء الشعراء علاقة وطيدة وثيقة تربطه بأبيه أو أبيه، وتتسم في أكثرها بالاحتياج المتبادل لعاطفة الحب والحنان والمعاشية بين الآباء والأمهات من جهة وبين الأبناء من جهة أخرى، فأبو العلاء كان كفيلا وأبوه وأمه بالنسبة له كاتا كل حياته؛ لذلك كانت وفاة كل منهما طامة كبرى بالنسبة له، وكذلك كشاجم كان يرى أباه قدوته ونور طريقه الذي يضيء له، وكانت أم الصنوبري له بمثابة الروضة والجنة التي يتفيا في ظلالها وينعم فيها بثمار الرحمة ونسائم الحنان، أما أبو فراس فقد كانت أمه مصدر نصره ودعاؤها وسيلة تفوقه؛ لذلك يمكن القول إن ذاته قد انكسرت بوفاة أمه لما كان لها في حياته من أثر ولما كان لها عليه من فضل؛ حيث تولت تربيته وتعليمه بعد وفاة والده فكانت له بمثابة الأم والأب لا الأم فحسب^(٥).

خلاصة— هذا الموضوع يتناول أبرز الأفكار والتوجهات التي كانت لدى شعراء الشام بالقرن الرابع في رثائهم لأبنائهم وأمهم.

الكلمات المفتاحية: رثاء، الشام، أبو العلاء، المتنبي، كشاجم، الصنوبري، حلب.

I. المقدمة

كان لكل شاعر من شعراء الشام سمته الخاص في رثائه لأمه أو أبيه حيث يتأثر هذا الرثاء بمنحى الشاعر العام الذي اشتهر به إبداعه وعرف عن شعره، فلا يعدو شعر الصنوبري في رثائه لأمه منهاجه العام في باقي ديوانه – ما وصلنا منه – حيث يكثر من ذكر الرياض والبساتين وعناصر الطبيعة الجميلة وهي ما ميز الكثير من مناطق الشام في ذلك العصر، خصوصا إمارة حلب التي عاش فيها الصنوبري.

II. موضوع المقالة

كان لكل شاعر من شعراء الشام سمته الخاص في رثائه لأمه أو أبيه حيث يتأثر هذا الرثاء بمنحى الشاعر العام الذي اشتهر به إبداعه وعرف عن شعره، فلا يعدو شعر الصنوبري في رثائه لأمه منهاجه العام في باقي ديوانه – ما وصلنا منه – حيث يكثر من ذكر الرياض والبساتين وعناصر الطبيعة الجميلة وهي ما ميز الكثير من مناطق الشام في ذلك العصر، خصوصا إمارة حلب التي عاش فيها الصنوبري. أما أبو فراس فقد تجلت مأساته - وهي معاناته في الأسر - في رثائه لأمه، وقد شغلت هذه المأساة الكثير من قصائده خصوصا ما عرف منها بالروميات^(١). ويتبع أبو العلاء هواء العقلي، وتتكشف خبايا نفسه وطوايا أفكاره جاعلاً من رثائه لأبويه سبيلا ل طرح العديد من الأفكار التي يمكن أن نطلق عليها أفكاراً وجودية تتعلق بالشك واليقين والبعث والحساب، وفناء الأجساد أو بقاء الأرواح، ولا ينفك كل هذا عن حكمة عميقة يطلقها.

أما كشاجم فقد تأثر شعره في رثاء أبيه بطريقته في الإبداع، تلك الطريقة التي تعتمد السهولة والبساطة والخفة في الأوزان وقرب المعاني والأفكار^(٢). ولا يعني هذا السمات الخاص الذي ميز كل شاعر من شعرائنا أن رثاء الآباء والأمهات جاء عبارة عن جزر منفصلة لا يربطها رابط، فهناك العديد من الروابط؛ أولها هو اشتراك هؤلاء الشعراء في المصائب حيث "إن المصائب يجمع المصابين"، وثانيها هو الأوصاف والسمات التي أضفاها هؤلاء الشعراء على آبنائهم وأمهم في النسبة للأمهات فإن الكثير من الصفات التي أضفاها الشعراء على أمهاتهم هي صفات ينحاز أكثرها إلى معاني العطف والحنان والتضحية من أجل الأبناء وكذلك معاني العفة والكرامة وحفظ الأمانة، وكان للصفات الدينية حضورها حيث للأم مكانتها العظيمة التي حث عليها الإسلام، وقد بكى الشعراء ما كان لأمهاتهم من عبادة وتقوى وورع وخشوع وصيام وقيام، وإلى جانب الصفات الإسلامية السامية فقد وصفت الأم بالسيادة والمنعة والشرف العريق وفعل الخيرات، وهو ما نلاحظه لدى أبي العلاء وأبي فراس خصوصا^(٣).

(١) شعر الرثاء في الشام في القرن الرابع الهجري (اتجاهاته وخصائصه) - د. عبد الله رمضان (رسالة ماجستير مخطوطة - كلية دار العلوم - جامعة الفيوم).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.